المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث
العدد الثالث - المجلد الأول
ديسمبر 2015 م
ISSN: 2518-5780

المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث
Arab Journal of Sciences & Research Publishing
AJSRP

جدلية التواصل بين النص والمتلقي

د. نزيهة زاغز
أستاذ محاضر بكلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية جامعة محمد خيضر

الملخص: تقوم هذه الدراسة على طرح إشكالية العلاقة المنتجة بين فعل الكتابة وفعل القراءة ، فليس من السهل استيعابها لأن الأمر يتطلب قارئا حاذقا بمواجهة نص ملغم بالفخاخ ؛هذه الفخاخ التي تبدأ من شكل النص ، فنادرا ما يمكننا اقتحام هذه القلعة ، نعني شكل النص ، لأننا نعتقد أنه حكر على المؤلف وله مطلق السلطة في تقديم الشكل الذي يريد لنصه متناسين أنه يمكن أن يغفل المبدع عن الاستثمار في ذكاء القاريء ، فيستهين به وبالتالي سيتفاجأ بقراءة غير متوقعة ، وبتشكيل جديد مخالف لما طرحه أمام القراء.هذا ما تحاول هذه الدراسة الإجابة عنه.

الكلمات المفتاحية :- التلقي ، نظرية القراءة، إنتاج المعنى، الوقع، الميثاق ،الجمالية، التحفيز.

مقدمة

"لأشعاري المعنى الذي يحمل عليه"

لقد ربط بول فاليري بين النص ومتقبل النص، لكنه يبدو أن الأهم هو السؤال التالي: "كيف السبيل إلى إحداث هذا الأثر أو ذاك في القارئ؟هل يجب أن يكون النص قويا بإيحاءاته، ودلالاته، ولغته، لإحداث هذا التأثير أم لابد على القارئ أولا أن يكون متحفزا ومهيأ ، فيلبس قفازات الفلاسفة والمفكرين ليفكك عتبات النص الملغمة، ودروبه الشائكة ينفض شجرها لتسقط أعشاش المعنى تحملها طيور الكلام.

إنّ النص نداء، وإنّ القراءة تلبية لهذا النداء، وهكذا فالتفاعل بين القراءة والكتابة على أشدّ ما يكون تبادلا، إذ لا وجود لأي منهما إلا بوجود الآخر. [2]

هذه العلائقية بين فعل القراءة، وفعل الكتابة أكّدها أيضا بيار ماشيري P. Macherey وهو من أبرز منظري نظرية الإنتاج الأدبي الذي اعتبر أن كليهما أي (القراءة/ الكتابة) يمران بنفس الظروف والمؤثرات.

فلا يمكن البتة التخلص من أسطورة الكاتب للسقوط في أسطورة القاريء بل هناك شبه ترابط تفاعلي بينهما.

يعتبر التلقي استكمالا للنص، فإننا دائما نكون إزاء إمكانية النظر إلى النصوص نظرة تصادمية باعتبار هذه النصوص هي نصوص غير مكتملة، فالمعنى يبقى عادة كامنا، والقراءة التفاعلية هي التي تخرج المعنى من حالة الكمون إلى حالة الظهور.

وبالتالي نكون أمام نوع من القراءة وهي القراءة التفاعلية، ومع نوع من القراء، وهو القاريء التفاعلي.

قد أكون أيضا أمام حالة أخرى من التلقي حينما يقترح علي النص شكله النهائي الجاهز، وبالتالي فالمعنى يسهم في برمجة شكل تلقيه، وهذا ما يسمى بعقد القراءة، وفي هذه الحالة سأكون أمام نوعين من القراءة، وبالتالي نوعين من القراء.

فالنوع الأول من القراءة هي ما أسميناه بالقراءة التوافقية، والقاريء التوافقي، وهو الذي يتبنى عقد القراءة ويوافق عليه، وبالتالي يتقبل شكل النص تقبلا كليا.

في حين أن النوع الثاني من القراءة هو القراءة التصادمية والقاريء التصادمي، وهو الذي لا يتبنى عقد القراءة ويقوم بتهديم شكل النص الأصلي ليقترح بدائل يبنيها، ويتعلق الأمر بمدى كفاءة وخبرة القاريء واستيعابه للعملية.إذن نحن أمام ثلاثة أنواع من القراءة، ومن القراء.

القراءة التفاعلية -------- القاريء التفاعلي

القراءة التوافقية--------- القاريء التوافقي

القراءة التصادمية--------- القاريء التصادمي

لقد سبق لنا شرح هذه الأنواع الثلاثة بيد أنه يلزمنا الوقوف على إحدى هذه التقنيات ولتكن التقنية الأخيرة ، أي تلك التقنية المستعملة من قبل القاريء التصادمي، سنقترح نصوصا لغادة السمان.. في لعبة البحث عن أسلوب أو شكل جديد في الكتابة.قمنا بعملية توزيع جديدة للمقاطع أتاحت لنا قراءة نصوصها بصورة مغايرة لما رسمته الكاتبة.

توزيع أول للمقطع الأول:

رجل آخر
يوم آخر
فندق آخر
مدينة أخرى
وأنا في رحلة تخدير جديدة
وفي كل مرة
ألملم أشلائي
وأستقل الطائرة
بفرح وترقب مدمن
يعدّ إبرة المورفين
ليغرسها في عروقه
أعنئ إبرة "مورفيني"
بالمدن النائية
بوجوه الغرباء
الراكضة
في شوارع ماطرة
لم أرها من قبل

توزيع ثان للمقطع الأول:

"رجل آخر
يوم آخر
فندق آخر

مدينة أخرى

وأنا في رحلة تخدير جديدة، وفي كل مرة ألملم أشلائي، وأستقل الطائرة بفرح وترقب مدمن يعد إبره المورفين، ليغرسها في عروقه.

أعبئ إبرة "مورفيني" بالمدن النائية، بوجوه الغرباء الراكضة في شوارع ماطرة لم أرها من قبل".

توزيع أول للمقطع الثاني:

وتقول: تعالي ...

تمد يدك نحوي ...

فتفور أعماقي بزخمها كله

وأنصهر

وتتلاشى معالمي

فأظل حيث أنا على المقعد".

توزيع ثان للمقطع الثاني:

وتقول: تعالي، وتمد يدك نحوي فتفور أعماقي بزخمها كله، وأنصهر وتتلاشى معالمي، فأظل حيث أنا على المقعد..."3.

المقطعان للأدبية (غادة السمان)، استطاعت حركة تلاعب طريفة من قاريء تصادمي أن تخرج الشعر من النثر، والنثر من الشعر، فالمقطع الأول الموزع على شكل شعر غادة المنثور في (أعلنت عليك الحب، اعتقال لحظة هاربة، الحب من الوريد إلى الوريد) ما هو إلا مقطع مأخوذ من قصة (الدانوب الرمادي) من مجموعة رحيل المرافئ القديمة والذي جاء في القصة أصلا مكتوبا على منوال التوزيع الثاني للمقطع الأول، أي بتلاحم العبارات الموزعة.

أما العملية التركيبية الثانية، فهي في الأصل موزعة على شكل شعر منثور كما في التوزيع الأول من المقطع الثاني، وهي مأخوذة من (كما المطر، كما الليل) من كتاب الشعر المنثور (الحب من الوريد إلى الوريد) لنفس الكاتبة.

إننا لم نقم بعملية لعب، إنها محاولة لتقصي ظاهرة الاكتراث إلى نوع آخر من القراءة وهو ما أسميناه بالقراءة التصادمية التي لا تكتفي بالجاهز كما أورده الكاتب، بل تحاول تفكيك تدرج النص، وتفجير تراتيبته الخارجية بغية إيجاد شكل جديد لهذا النص، فهذه القراءة عادة تبني أساسها في ضوء الاعتقاد بإمكانية إكمال النقص الذي يعتور شكل النصوص.

فليس للكاتب أن يحدد شكل الكتابة إلا بقدر احترامه لضوابطها، أما حينما ينفلت منه الأمر، فيأتي دور القارئ ليمارس جميع صلاحياته.

في النص الآنف الذكر تمت ممارسة سلطة القاريء بكل حرية، لأنّ كاتب النص ترك، أو فلتت منه عدّة ثغرات شكلت منفذا لإعادة تشكيل هذا النص.

ففي التوزيع الأول للنص قمنا بالتصرف في توزيع الجمل والمقاطع الصوتية، وبذلك استثنينا الفكرة المضادة التي تقول بأنّ القارئ حرّ ومقيّد في الوقت نفسه.

إنّ فكرة الحرية هي المسيطرة وهي التي تبرمج سلفا مسار النص كشكل غير ثابت.

الصورة الأولى للنص	**الصورة الثانية للنص**

يتحرك النص بمنتهى إرادة القاريء وفق وتيرتين، إما شاقوليا أو أفقيا، وفي كلتا الحالتين أحدث القاريء خلخلة في النظام الأصلي لمسار النص.

رجل آخر ...

يوم آخر ...

فندق آخر

مدينة أخرى.

وأنا في رحلة تخدير جديدة.

هنا يبدأ انشقاق النص، ويبدأ التوزيع الطوعي أو القسري للنص.

انشطار الكتابة: هل حينما ينشطر الرسم التيبوغرافي للكتابة ينشطر المعنى؟ سنتعرف على الأمر حينما نقارب التوزيعين للنص الأول المختار.

رجل آخر

يوم آخر

فندق آخر

مدينة أخرى

وأنا في رحلة تحذير جديد

، وفي كل مرة

ألملم أشلائي

وأستقل الطائرة

بفرح وترقب مدمن

يعد إبرة المورفين

ليغرسها في عروقه ...

لقد بدأ الانشطار من خلال الجملة الثالثة حيث وقع تقطّع صوتي وتوبوغرافي. ما نلحظه أن المعنى لم يتغير، وإنما حدثت محاولة تسوية تراتيبة بين المقاطع، فضلت الكاتبة إقامتها في حين أنّ البديل بسيط جدا، وهي الكتابة وفق النمط الثاني (التوزيع رقم 1) وهو توزيع لا يخل بالمعنى الذي ترومه الكاتبة ككلّ الكتّاب وهو الإثارة والإمتاع .ولعل هنا مربط الفرس لأنّ التوزيع الأول للنص يحقق غاية قصوى في الإمتاع ، عكس التوزيع الثاني، لأنه يتيح للقاريء هامشا آخر للشعور بلذة من نوع آخر، وهي قناعة أخرى تدفع الكاتب إلى اختيار ما يتوقع أن يحدث به ما يسمى بالوقع اللذيذ، لأن "**تأثير القراءة قد يتخذ أشكالا ثلاثة متميزة، فهي قد تنقل الأنموذج المعياري كما ورثه المجتمع منذ تاريخه، وقد تبدع أنموذجا معياريا جديدا تقترحه على مجتمعها، وهي قد تحدث قطيعة في الأنموذج السائد وسط هذه الجماعة الإنسانية**" [(4)].

وهنا نجد أن هذا التوزيع قد أخلّ بالقيم التقليدية لمسار النصوص، وتدخل في تغيير تطلع القاريء وخخلة أفق انتظاره.

هل يكفي الكاتب أن يحدث هذا الاضطراب كي يحقق رسالته؟

النص الأول والنص الثاني شديدا الوضوح مما يعزز عدم خروجهما عن السائد والنمطي.

لقد برمج النصان كيفية الوصول إلى القارئ ، فالبرمجة الأولى هي برمجة عادية لا ابتكار فيها، حاولنا بإجراء تغيير بسيط في التوزيع فانتهينا إلى إفراز متغير يحتوي على شبكات أو فراغات للامتلاء بالمعنى.. في حين أن الكاتبة جعلته موصولا لأنه في الأصل قصة (سرد). ـ النص ثابت ـ تلقي النص متجدد.

لقد ألغينا بهذا التصرف عقد القراءة ـ لأنه فلت منه زمام الأمر، ولم يقد خطانا إلى الوجهة التي يريد، وبموجب هذا التمرد قد تتيه السفينة بالقاريء، فلا يدري كيف يصنف النص، وإمعانا في متعة الاكتشاف يبقي على النص الأول كما جاء ليتصرف في النص تشطيرا وتوزيعا، وإعادة بناء، فكأنه مبدع ثان للنص ـ سلطة القاريء في التصرف في النص.

ومن هذا المنطلق تتم إستراتيجية التلقي حينما نجيب عن سؤالين مهمين كيف بإمكاننا تلقي النصوص ؟ وما هو الوقع أو الأثر الذي يتركه النص على المتلقي ؟

إن ميكانيزمات النص تشتغل بشكل جاد في طرح مضامينها ورسائلها الجمالية ، وحتى شكلها الخارجي ، وهذا ما لاحظناه من خلال المقطعين المقدمين للدراسة .كما أنها تعتمد بالقدر نفسه على استجابة القاريء -Reader Reponse وعلى رهان التأويل لديه ومتى كانت مساحة هذا التأويل واسعة كلما اضطلع القاريء بمهمة ممارسة السلطة المطلقة على النص . فبين مقاصد النص Intentio Operis وبين مقاصد القاريء Intentio Lectoris يتأرجح المعنى .

بين رباعية التأويل وثلاثية التلقي :-

إذا كانت نظرية التلقي ثلاثية الأبعاد (المبدع – النص -القاريء) ، فإن التأويل يتوقف عنده مشغل المعنى ، فالانتقال من الحقيقة إلى المجاز ، ومن معنى ظاهر إلى معنى مضمر هي التي تشكل هذه الرباعية وفق قوانين التأويل التي حددها محمد مفتاح من بينها تقسيمات ابن رشد وهي تقسيمات ثلاثة:- الأزواج والأرباع والأسداس ، وقد أسماها قوانين التأويل الكونية وما بين هذه القوانين من تجاذبات أشار إليها الناقد محمد مفتاح. 5

في التنازل عن عملية التلقي المباشر يكمن التأويل ، وفي عدم الاعتداد بالقاريء العادي يولد القاريء المؤول وينتعش النص بدء من شكله الخارجي وانتهاء بمفاصله.

" **إن الاستراتيجية التي يحددها القاريء هي التي تعين كيفية تعامله مع المقروء ، وترسم الحدود التي يقف عندها**"6

ولهذا فإن أسلحة القاريء هي التي تهيء لهذه الإستراتيجية ، فلا يمكن لقاريء عادي لا يمتلك أي خلفيات معرفية ومنهاجية ولغوية أن يغامر صوب النصوص لأنه محكوم عليه بالانهيار في أول لحظة تصادم بينه وبينها .وكي تحدث لحظة هذا التصادم لابد أن يكون النص زاخرا بالدلالات فـ " **النص الغني أدبيا هو النص الذي يستطيع أن يتلقى ويفهم ويحس به بطريقة تختلف عن تلك التي أرادها الكاتب بوعي والتي يمكن أن يلاحظها موضوعيا ناقد ما**"7. ما يمكن استشفافه من مقولة إيسكاربيت هو الاستقبال المختلف لمقصدية المؤلف والتي يستنبطها الناقد من خلال ملاحظاته، واستنتاجاته. والتي في الغالب يتهيأ لها قاريء من نوع خاص يمتلك القدرة والكفاءة للسيطرة على حصون النص وامتلاكها بعيدا عن الرسائل الموجهة للمؤلف ، إذ يتساوى لحظتها القاريء والكاتب بل ربما يتغلب عليه.فـ " **حركة القراءة موازية لحركة الكتابة ..إن قراءة كتاب هي بشكل من الأشكال إعادة كتابته ذاتيا."8.**

على إعادة توجيهه توجيها جماليا، وإعادة تشكيله خطيا ورسم تضاريسه. وقد أشار صدوق نورالدين إلى هذه الدائرة التكوينية التي تضم الثلاثي المبدع والنص والقاريء.9

وبنظر الناقد الروسي شلوفسكي " **الشكل الجديد لا يظهر ليعبر عن مضمون جديد ، ولكن ليحل محل الشكل القديم الذي يكون قد فقد صفته الجمالية ". 10**

ولهذا حينما قمنا بعملية التحويل الشكلي لنصي غادة السمان لم يتغير المضمون ، ولكنه حل محل الشكل الكلاسيكي القديم النمطي ، وهو أيضا لم يكرس البتة لفعالية جمالية جديدة ، وإنما أتاح الفرصة لتموقع جديد

للقاريء المتحفز الفعال والإيجابي.الذي تبحث عنه النصوص الأدبية وتحتاجه نظرية التلقي فالفارق في عرف نظرية التلقي بين قاريء وقاريء آخر يكمن في خطين متعاكسين خط التشابه Similarité وخط التجاوز .Contiguité **يقول رولان بارت أن النص هو السطح الظاهري لنسيج الكلمات المستعملة والموظفة فيه بشكل يفرض معنى ثابتا ، وواحدا إلى حد بعيد** ".11 فمهمة القاريء إذن هي تقويض هذا المعنى الثابت وتفتيته ، وتهديمه ثم إعادة تشكيله من جديد.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكننا اعتبار عملية القراءة هي عملية إبداع جديدة تتوفر من خلالها للقاريء إمكانية استخدام وتوظيف ميكانيزمات جديدة للخروج بالنص من فضائه الأول إلى فضاءات جديدة ، وقد تيسر لنا تلمس ذلك من خلال عملية التوزيع الشاقولي والأفقي لمقاطع من كتابات غادة السمان أتاحت لنا هذه العملية الوقوف على عدة نتائج من بينها :-

- القراءة التفاعلية هي التي تخرج المعنى من حالة الكمون إلى حالة الظهور.
- هناك أنواع متعددة من القراءة تتراوح بين القراءة الإيجابية، والقراءة التوافقية، والقراءة التصادمية.
- هناك أنواع من القراء تبعا لأنواع القراءات كالقاريء الإيجابي والقاريء التوافقي والقاريء التصادمي.
- التلقي هو استكمال لمعاني النص الكامنة وكلما كان مختلفا كلما منح النص فرصة الاختلاف.
- الانتقال من تفكيك المعنى إلى تفكيك الشكل ، وهو ما قمنا بتجريبه من خلال العينات المختارة.

المراجع

1- Paul valery:œuvres .éd pleiade.paris 1960.ip.150

le réception de la littérature par le critique journalistique. Éd. jean Michel place.1980.p 16-17

2- أخذا عن حسين الواد ، في مناهج الدراسة الأدبية سراس للنشر ص 70

3- غادة السمان ، رحيل المرافيء القديمة،منشورات غادة السمان،الطبعة الخامسة 1983.ص 7

4- 4-حسن مصطفى سحلول ، نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2001، .ص115

5- يمكن العودة إلى النص من القراءة إلى التأويل، محمد مفتاح، شركة النشر والتوزيع المغرب الطبعة الأولى 2000

6- المرجع نفسه ص8

7- نخبة من الأساتذة، الأدب والأنواع الأدبية، تر:الطاهر حجار، من مقال ماهو الأدب ، روبيرإيسكاربيت. ص 24

8- المرجع نفسه ص 25

9- انظر صدوق نورا لدين، حدود النص الأدبي ص 12

10- المرجع نفسه ص 59

11- رولان بارت .نظرية النص ص 21

Abstract: This study describes the problems result of the relationship between the act of writing and the act of reading it is not easy to understand because it requires an intelligent and subtle reader to resist into undermined text traps , these traps that start from the shape of the text, it is difficult to find away to break this kind of fortress (text form) Because we believe that the author has a absolute power on the form he must give her a text ignoring the subtlety and insight of mind's reader he will surprise by an unexpected reading with a formation of a new form other than that it had proposed to the readers.

Keywords: reception, reading theory, production, impact, Charter, aesthetic stimulation.